جامعة حمّة لخضر الوادي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
شعبة التاريخ
السنة الثانية تاريخ عام
مقياس مصادر تاريخ الجزائر
الدكتور: عثمان زقب

الدرس الثالث: الجرائد والصحف الاستعمارية.
تمهيد:
1) الإطار الاصطلاحي:
2) لمحة عن نشأة الصحافة في العالم:
3) نشأة الصحافة الاستعمارية في الجزائر:
4) أنواع الصحافة الاستعمارية في الجزائر:
5)الصحافة كمصدر تاريخي:
استنتاج:

تمهيد:
شكلت الصحافة أداة من أدوات الدعاية والتواصل وظّفها الفرنسيون منذ الحملة الفرنسية على الجزائر، لما لها من دور بارز في الدعاية لسياسة الاحتلال الفرنسي وتسويق مخططات الغزاة منذ بداية تدخلهم في مدينة الجزائر، لذا لا نتعجب من أن المطبعة والجريدة قد رافقتا جنود جيش إفريقيا الذين نزلوا في ميناء سيدي فرج. واستمرت لاحقا الصحافة ملازمة للسياسة الفرنسية في كلّ خطواتها خلال فترة الاحتلال الفرنسي، سواء تعلّق بالتي كانت موجهة لفئة المعمرين الأوروبيين أو المسلمين الجزائريين، فلكلّ منهما توجهاتها وأهدافها الخاصّة.

1) الإطار الاصطلاحي:
الصحافة لغة مشتقّة من الصحف، والصحيفة كما وردت في لسان العرب عن ابن منظور هي التي يكتب فيها. كما وردت في القرآن الكريم بمعنى الكتب المنزّلة في قوله تعالى:"إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى"[1].

كما ترد الصحيفة في الصّحاح للجوهري على أنّ الصحيفة وجمعها صحف وصحائف هي الكتاب بمعنى الرسالة. كما استخدم العرب عندما اكتشفوا الصحافة في القرن التاسع عشر لفظة " الوقائع " للتعبير عن الصحف[2].

وفي قاموس أوكسفورد تستخدم كلمة صحافة بمعنى(press)، وهي الشيء المرتبط بالطبع والطباعة ونشر الأخبار والمعلومات، وهي تعني أيضا(journal) ويقصد بها الصحيفة و(journalism) بمعنى الصحافة، وكذا (journalist) بمعنى الصحفي، وبذلك تشمل كلمة الصحافة كلا من الصحيفة والصحفي في الوقت نفسه، وفي القاموس المحيط للفيروزبادي يذكر بأن الصحيفة هي الكتاب وجمعها صحائف[3].

وفي المصباح المنير لأحمد بن علي المقري الفيومي، تعني لفظة الصحيفة قطعة جلد أو قرطاس كتب فيه، والصحيفة في المعجم الوسيط تعني: اضمامة من الصفحات تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة، وجمعها صحف وصحائف[4].

يعد الكونت رشيد الدحداح المولود في 1813 والمتوفى في 1894 أوّل من استخدم لفظة صحيفة، كما استخدم أحمد فارس الشدياق لفظة جريدة للتعبير عن صحيفته جريدة " الجوائب". واصل لفظة جريدة منشأه عن الجرائد

---

[1] مروّة أديب، **الصحافة العربيّة نشأتها وتطوّرها**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ص13 .
[2] **نفسه**، ص ص 13-14 .
[3] فاروق أبو زيد، **مدخل إلى علم الصحافة**، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1986، ص 37.
[4] **المرجع نفسه**.

وهي قضبان النخيل المجرّدة من خوصها، كما يشير الأستاذ أديب مروّة على أنّ المغاربة يطلقون على الصحفي لقب "الجرائدي" نسبة إلى الجريدة[1].

أما صحفي بضمّ الصاد فهو خطأ شائع إذ لا تجوز النسبة إلى الجمع في اللّغة العربية، ولكن الأصح هو صّحفي بفتح الصّاد نسبة إلى الصحيفة. كما استعمل العرب قديما كلمة صّحفي بمعنى الورّاق الذي ينقل عن الصحف، وكلمة الصحافي هي أكثر دلالة من صحفي على من يعمل في الصحافة، فهي الكلمة الأصح لمن يلقّب بكلمة (journalist) في الغرب[2].

عرّف البعض الصحيفة الحديثة على أنّها كل؛ "نشرة مطبوعة تشتمل على أخبار ومعارف عامّة وتتضمّن سير الحوادث والملاحظات والانتقادات التي تعبّر عن مشاعر الرأي العام، وتعدّ للبيع في مواعيد دوريّة، وتعرض على الجمهور عن طريق الشراء والاشتراك"[3].

2) لمحة عن نشأة الصحافة في العالم:

في الواقع بدأ الاتصال بين البشر في عالمنا "حتّى قبل أن يكون للإنسان لغة يستطيع التخاطب بها، فكانت الإشارة أو إشعال النار أو النداء بأصوات معيّنة أو دقّ الطبول من الوسائل التي استخدمها الإنسان الأول للتعبير والتخاطب والمفاهمة، حتّى إذا ما تطورت المفاهيم بالعراف، أصبحت الكلمات هي الوسيلة الفعّالة التي يعبّر بها الإنسان عمّا يريد"[4].

كما يعد تبادل المعلومات حاجة أساسية في حياة الأفراد والمجتمعات، حيث يمكننا ملاحظة ارتباط الإنسان عبر التاريخ بالإعلام، مثل استعماله النار في "بادئ الأمر للإعلام عن حركة الأفراد والجماعات من مكان إلى آخر، ثم استخدم المنادي في مراحل لاحقة، وكلما تطورت الحياة الإنسانية وتشبعت أنشطة الإنسان فيها، كلما ابتكر هذا الأخير وسائل جديدة لتلبية حاجته للمعلوماتط[5] ـ

يرى بدوره الأستاذ أديب مروّة بأن الصّحافة ليست بالفن الحديث النشأة أو المرتبط بنشوء المطبعة بل هي قديمة قدم الدنيا إذا عنينا بها رواية الأنباء وعرضها على الجمهور، فالنقوش الحجريّة الدالّة على الأخبار والإعلام وإذاعتها بين الناس تعدّ ضربا من ضروب الصحافة في العصور القديمة، لارتباطها أساسا بحبّ الاستطلاع لدى البشر[6].

ومن خلال معرفة الإنسان للكتابة أصبحت الرسائل "وسيلة هامّة للاتصال وقد لجأ فراعنة مصر إلى كتابة مراسيمهم وأخبارهم على ورق البردي يرسلونها إلى عمالهم في مختلف الأنحاء بصورة فعّالة. ويبدو أنّهم لم يكونوا مسبوقين بأحد من قبل مما جعل بعض المؤرخين يعتقد أنّهم كانوا أول من استخدم النشر كوسيلة من وسائل الإعلام حيث نقشوا أخبار الانتصارات والمعارك على جدران المعابد والمسلاّت القديمة ليقرأها الشعب (..) وفعل الآشوريين والبابليون وأهل الحضارات القديمة الشيء نفسه"[7].

يعتقد الأستاذ أديب مروّة بانّ أقدم جريدة صدرت في العالم هي جريدة "كين بان" الصينيّة وكان ذلك عام 911 قبل الميلاد. كما أنّ أول جريدة صدرت في أوروبا هي التي أصدرها الإمبراطور يوليوس قيصر في كانون الثاني عام 58 قبل الميلاد وكانت تسمى " أكتا دويرنا" (Acta Duirna) بمعنى " السجل اليومي للأخبار"[8].

أما الصناعة الحقيقية للخبر المخطوط المنسوخ باليد كان أول ظهورها في القرن الثالث عشر بإنجلترا، ثم ظهر لاحقا بعد قرنين في كلّ من ألمانيا وايطاليا، إلى أن احدث اكتشاف المطبعة في عام 1436 على يد غوتنبرغ الألماني ثورة في وسائل نشر الأنباء وتداولها، حيث كانت المطبعة وسيلة لنشر الآداب والعلوم وتوجيه الرأي العام أوّلا، وتبادل الآراء ثانيا، ومن هنا نرى بأنّ تقدم استخدام المطبعة كان لها دورا فاعلا في أساس

---

[1] مروّة أديب، **المرجع السابق**، ص14 .

[2] فاروق أبو زيد، **المرجع السابق**، ص 38.

[3] مروّة أديب، **المرجع السابق**، ص15 .

[4] محمود محمد سفر، **الإعلام موقف**، ط1، تهامة للكتاب العربي السعودي، جدّة، 1982، ص 18.

[5] فتيحة وهايبية، " الصحافة المكتوبة في الجزائر_ قراءة تاريخية _ ، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 16، سبتمبر 2014، ص 248 -

[6] مروّة أديب، **المرجع السابق**، ص52 .

[7] محمود محمد سفر، **المرجع السابق**، ص 18.

[8] مروّة أديب، **المرجع السابق**، ص ص 54-55 .

فكرة الصحافة الحديثة، حيث ساهمت مع توفر وتطور المواصلات والبريد في سرعة إصدار الصحف وقلّة تكاليفها[1].

يرى بعض المؤرخين إلى أنّ ظهور الإعلام كان في القرن 17، من خلال ميلاد الصحف الأولى التي صدرت سنة 1631 حيث احتوت على العديد من الصفحات التي كانت توزع بانتظام[2]. وكان ذلك بفرنسا وهي جريدة لاغازيت (Laguazete)، حيث كانت في خدمة بلاط الملك لويس الرابع عشر، وعلى شكلتها وفي نفس الوقت ظهرت جرائد في انكلترا وهولندا[3].

كما كان لاكتشاف الطباعة وتطور وسائل النقل والمواصلات دورا بارزا في إعطاء دفع جديد لظهور الصحافة المكتوبة مثل ما هو متعارف عليها بنماذجها الحديثة، حيث ظهرت الصحف الدورية لتتحول فيما بعد إلى صحف أسبوعية بداية من القرن 19م. كما لعبت بدورها النهضة الأوروبية والكشوفات الجغرافية وتطور الخدمات المصرفية والتجارية بأوروبا وخارجها دورا هاما في تطوير الصحافة المكتوبة[4].

وقد ساعد إنشاء الخدمات البريدية على سرعة وصول الصحف إلى المشتركين وكذا سرعة وصول الأخبار من مختلف الأماكن والبلدان التي تصدر بها هذه الصحف[5].

3) نشأة الصحافة الاستعمارية في الجزائر:

ارتحلت الصحافة مع الجيش الفرنسي العابر للمتوسط من ميناء تولون نحو مدينة الجزائر، وكان لسكرتير الجنرال دي بورمون (de Bormont) شرف إنشاء الصحافة في الجزائر حيث أقدم رجل الآداب هذا على إطلاق العدد الأول من " لستافات " L'Estafette في سيدي فرج، غير أنّ هذه المطبوعة لم تتعدّى العدد الأول، ويتعلّق الأمر هنا بالصحافة الرسميّة الوحيدة والتي عرفتها البلاد في سنواتها الأولى[6].

يرتبط ظهور الصحافة بالجزائر في الواقع بالاحتلال الفرنسي حيث حمل الفرنسيون مع أسطولهم الغازي لمدينة الجزائر اظافة إلى الجنود على جريدة بدأت بالصدور فور نزول جيوش الحملة الفرنسية على الأرض[7]. وكان يطلق على هذه الجريدة اسم " ليستافيت سيدي فرج (l'estafette de Sidi Ferrage)[8].

ويشير الدكتور أبو القاسم سعد الله لجذور هذه الصحيفة بقوله أنّه "في مدينة مرسيليا اشترى "ميرل" كاتب بورمون لوازم مطبعة واتفق مع طبّاعين يرافقونه، كما اتفق في طولون مع صاحب مكتبة هناك على إنشاء جريدة تهتم بشؤون الحملة وتغطّي أخبارها. وصدر إعلان يخبر عن قرب ميلاد هذه الجريدة، وأن اسمها سيكون "الاسطافيت دالجي" وأنّها جريدة تاريخية وسياسية وعسكرية لا تطبع في مرسيليا أو طولون ولكن في افريقية. وقد صدرت فعلا بعد أربعة أيام من نزول جيش العدو على تراب سيدي فرج. وقد سميت المطبعة التي خرجت منها باسم " الإفريقية " واحتفل بها الجنود على أنها "مطبعة فرنسية في بلاد البدو" بينما وزعت نماذج من الجريدة على الحاضرين"[9].

وهكذا نجد أن الحكومة الفرنسية قد حرصت خلال حملتها العسكرية على الجزائر على أن تضم ضمن أسطولها إضافة إلى رجال الحرب على بعض رجال الإعلام والثقافة لاستخدامهم ضمن اختصاصاتهم مع حرصها على إصدار أول صحيفة والتي سينظر لها أن تكون ناطقا رسميا باسم إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر[10].

---

[1] **نفسه**، ص55 .

[2] فتيحة وهايبية، **المرجع السابق**، ص 248.

[3] مروّة أديب، **المرجع السابق**، ص56 .

[4] فتيحة وهايبية، **المرجع السابق**، ص 248.

[5] فاروق أبو زيد، **المرجع السابق**، ص 59.

[6] Mme G.SERS-GAL (Agrégée de l'université)," La presse algérienne de 1830-1852, **documents algériens** (série politique: presse), n°21, 8 décembre 1948, sans page, site électronique www. Alger-roi.fr, mise sur site le 5-2-2005.

[7] زاهر حدادن، **الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 8 .

[8] فتيحة وهايبية، **المرجع السابق**، ص 253.

[9] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**، الجزء الأول، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص91 .

[10] عواطف عبد الرحمان، **الصحافة العربية في الجزائر (دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 25 .

ورد في الرسالة التي أرسلها قائد الحملة الفرنسية في الجزائر القائد بولينياك بوضوح منهاج هذه الصحيفة (بريد الجزائر) وأهدافها، والذي يكشف بشكل جدّ دقيق أهداف الفرنسيين من بعث صناعة صحفية في البلاد بقوله: " جريدتنا لن تصدر في طولون أو مارسيليا أو باريس ولكنّها ستصدر وتكتب وتطبع في إفريقيا(يقصد الجزائر) وسترسل إلى قرائنا من ميدان القتال وبذلك ستحمل الحقائق المحليّة التي ستمنحها طابعا خاصا"[1].

كما استرسل في كلامه بتحديد الجوانب التي ستعالجها وتهتم بها هذه الصحيفة بان قسّمها إلى أربعة هي:

1- جزء رسمي يحتوي على تعليمات اليوم وتفاصيل المعارك.
2- تصوير تاريخي للأماكن مؤيدة بالوثائق والصور.
3- معلومات دقيقة عن الفوائد الزراعية والتجارية للمنطقة.
4- مقالات ومنوعات عن طرائق الحياة العسكرية[2].

وورد أيضا في البيان معلومات بخصوص ثمن الجريدة ومسالة الاشتراكات للقراء: "أنّ بريد الجزائر ستصدر على الأقل مرتين في الأسبوع والاشتراك بفرنسا 15 فرنكا، المدّة 3 أشهر و18 فرنكا للخارج"[3]. وتوقفت هذه الجريدة (بريد الجزائر) عن الصدور بفعل أمور كثيرة كانت "في مقدّمتها عودة " ميرل " إلى فرنسا. وقد يكون سبب التوقف هذا راجعا إلى الاختلاف الذي دبّ في أوساط الجيش نتيجة استفحال الخلاف بين المعارضة والحكومة في باريس حول قضية الجزائر إذ كانت أطراف تطالب بالجلاء عن الجزائر في حين كانت الأغلبية تطالب بالاستفتاء في الجزائر والتوسع فيها، ونتيجة لذلك توقفت الدعاية في الجزائر في صورتها الصحفيّة الرسمية"[4].

في الرابع من جانفي 1832 أسّس البارون بيشون (le Baron Pichon) مستشار الدولة المونتير الجزائري (Le Moniteur Algérien) من خلال توصّله إلى قناعة مفادها ضرورة إيجاد وسيلة لتنظيم المناشير سواء كانت قوانين، أو مناشير أو قرارات حكومة فرنسا المتعلّقة بالجزائر، وكذا الإعلانات المختلفة للمصالح العسكريّة والمدنيّة مع ما احتوته أيضا من أعمدة تتعلّق بالإعلانات والبلاغات القضائية والتجاريّة والقوانين. حيث كانت حسب بيليسي دي راينو Pelissier de Raynaud استجابة لحاجيات فئة معتبرة لحدّ الآن من السكان الأوروبيين الذين يزيدون عن 3000 شخص، والذين غالبيتهم يمتهنون التجارة مقارنة بالزراعة التي تستقطب القليل[5].

وصدر العدد الأول من صحيفة "المونتير الجزائري" في 27 جانفي 1832، وكانت صفحاتها تتفرع إلى قسم رسمي يتضمّن نشرات وخطابات الملك والتعيينات والترقيات والقرارات والأوامر والإعلانات الإدارية... الخ، وكذا قسم آخر غير رسمي يقدم أخبار متنوعة ودراسات تاريخية وجغرافية وأثريّة وطبيعيّة... الخ، ويمكن تقسم مراحل صدورها إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: وتمتد من 1832 إلى 1833، حيث كانت تنجز حصريا من طرف السلطات المدنيّة والعسكريّة، فهي من تموّنها بالقرارات وأوامر اليوم والإعلانات والقوانين.. الخ.

المرحلة الثانية: وتمتد من 1833 إلى 1837، حيث منحت رئاسة تحريرها إلى "أدريان بربروجر" Adrien Berbrugger ، والذي تحمّل العمل الجدّي وحاول أن يؤسس منها جريدة حقيقية، وبذلك أصبحت الأعداد أكثر غنى مع استعراض مقتطفات من الجرائد الفرنسية. أدت حماسته في تغيير معالم هذه الصحيفة إلى أن تعرّض إلى توبيخ وزير الحرب الفرنسي بسبب تغييره الجملة أو الشعار الرسمي في الجريدة من كلمة الجزائر(Algérie) إلى الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا (Possession Français dans le Nord d'Afrique)، وكان لهذا التأنيب دور في تراجعه نسبيا في اندفاعه بالعمل الصحفي خارج الإطار الرسمي[6].

ومما يلاحظ أن هذه الصحيفة قد توقفت خلال 1858 تحت حكم وزارة الجزائر والمستعمرات ثمّ أعادت ظهورها في 3 سبتمبر 1861 بثوب جديد وأعداد أكثر غنى[7].

---

[1] **نفسه**، ص 25 .
[2] **نفسه** .
[3] **نفسه**، ص 25 .
[4] حميدة عميراوي، **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، المرجع السابق ، ص 141.
[5] Mme G.SERS-GAL (Agrégée de l'université),**op.cit**.
[6] **Ibid.**
[7] **Ibid.**

تشير الدكتورة عواطف عبد الرحمان على أنه "بعد توقف صحيفة "بريد الجزائر"، اعتمدت سلطات الاحتلال في نشر قراراتها وتعليماتها إلى الشعب الجزائري على النشرات العامة أو ما عرف(بالمعلقات العامّة) إلى أن ظهرت جريدة المرشد الجزائري في 27 يناير سنة 1832 وتخصّصت في نشر قرارات القيادة العامّة الخاصّة بمقاطعة الجزائر أما مقاطعتي عنابة ووهران فاستمرت المعلقات العامة فيهما كنشرة رسمية لإبلاغ القرارات. وكان عنوانها بالفرنسية " Meniteur Algérien " وبالعربية (ورقة خبور الجزائر) وتصدر أسبوعيا في أربع صفحات وكان حجمها (taboil) أي نصفي، وقد جاء في قرار إصدارها أنها لن تنشر المقالات السياسية الخاصّة بالحكومة أو الإدارة في الجزائر، بل ستنشر فقط قوانين المملكة الفرنسية وبلاغات وإعلانات قيادة جيش الاحتلال، أما التعليمات الموجهة للجزائريين والتي كانت تكتبها الجريدة باللّغة العربية فقد تميّزت بالركاكة وكانت تنقل من الصحف الفرنسية بعض المقالات التي تدافع عن احتلال الجزائر، كما تابعت كلّ ما يكتب في الصحافة الفرنسية عن الجزائر. وكانت تردّ بعنف على كلّ من يهاجم احتلال الجزائر وذلك تحت عنوان ثابت (معرض الصحافة)"[1]. ولقد استمرت هذه الصحيفة في الصدور لفترة طويلة تفوق الخمسين سنة[2].

أما عن الصحيفة الاستعمارية الثالثة في الجزائر "فقد كانت تسمى (النشرة الرسمية لعقود الحكومة) وقد صدر العدد الأول منها في 20 أكتوبر سنة 1834، وكان الهدف من تأسيسها هو ضبط الطريقة التي تنشر بها القرارات سواء من طرف الوالي العام أو المصالح الأخرى التي تنسق إدارة البلاد وقد أصبحت القرارات الرسمية تنشر في هذه النشرة الرسمية باستمرار حتّى عام 1858 حيث تغيّر اسمها إلى النشرة الرسمية للجزائر والمستعمرات، واستمرت هكذا حتّى سنة 1861، ثمّ صدرت بعد ذلك بعنوان (النشرة الرسمية للحكومة العامة)، واستمرت تصدر بهذا العنوان حوالي 66 عاما، وهي جريدة أسبوعية مقسّمة إلى ثلاثة أجزاء جزء مخصّص للقوانين والقرارات، وجزء للمراسيم والنصوص المختلفة، والجزء الثالث مخصّصا للنصوص العربية"[3].

مع بداية سنة 1839 بدأت الجرائد المحليّة في الظهور، ففي جويلية 1839 أسّس أوغيست بيرجي (Auguste Bourget) في مدينة الجزائر صحيفة الأخبار (L'Akhbar) والتي استمرّ في إدارة شؤونها إلى غاية 1862 وهو تاريخ وفاته[4]. وكانت هي الأخرى تهتم بالأبحاث التاريخية إلى جانب كونها جريدة سياسية إخبارية[5].

كانت جريدة الأخبار؛ جريدة إخبارية تصدر مرّتين في الأسبوع ، ظهر عددها الأوّل في 12 جويلية 1839 بالعاصمة وتعدّ جريدة استعمارية محضة لا تعير أي اهتمام بشؤون المسلمين الجزائريين، كانت في البداية تصدر باللّغة الفرنسية ، لكن منذ 1903 أصبحت تصدر باللّغتين الفرنسية والعربية، غير أن قسمها العربي كان ضعيفا ولم يلفت الانتباه له إلا لما أسند رئاسة تحريرها إلى عمر بن قدور الجزائري سنة 1907، لكن قسمها العربي سيختفي مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ولم يستأنف بعد ذلك. ولقد حاولت هذه الجريدة مقاومة الاندماج وسعت إلى إثبات الشخصية الإسلامية للجزائريين مع ذلك طالبت بانتهاج سياسة تحالف بين الفرنسيين والجزائريين[6].

خمس سنوات بعد ذلك وفي 5 أكتوبر 1844 أسّست مقاطعة الغرب جريدتها الأولى صدى وهران (L'Echo d'Oron) ومؤسسها هو أدولف بيريي (Adolphe Perrier)، وفي نفس هذه الفترة برزت أيضا جريدة لاسيبوس (La Sybouse) في عنابة (بون Bone) ومالكها دي داقوند de Dagand ، ثمّ بريد فيليب فيل (Courrier de Philippeville) في سكيكدة[7].

أمام هذه الحركة الصحفية الاستعمارية الأوروبية، "فكّرت الحكومة الفرنسية في إحداث توازن بين الساكنين في الجزائر" المستعمرة" بما فيهم الوطنيون الجزائريون. فعملت على إصدار جريدة ادّعت أنّها تخدم الأهالي ولكنّها كانت في خدمة مصالح فرنسا، وكانت باسم المبشّر"[8].

ويعد الجنرال دوماس (Daumas) الطرف المحرّض أكثر على إنشاء صحيفة " المبشّر" (وارد الأخبار من جميع الأقطار)، وكان أول عدد يحمل تاريخ 5 شوال سنة 1265 الموافق لـــ 15 سبتمبر 1847 [1]. وللإشارة هنا

---

[1] عواطف عبد الرحمان، **المرجع السابق**، ص 25 .

[2] **نفسه**، ص 26 .

[3] **المرجع نفسه** .

[4] Mme G.SERS-GAL (Agrégée de l'université),**op.cit**.

[5] أبو القاسم سعد الله، " منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، **المرجع السابق**، ص 9.

[6] زاهر حدادن،**الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة** 1930 ، المرجع السابق، ص 21.

[7] Mme G.SERS-GAL (Agrégée de l'université),**op.cit.**

[8] حميدة عميراوي، **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، المرجع السابق ، ص ص 145- 146.

فان صحيفة المبشّر والتي أصدرتها الإدارة الاستعمارية في الجزائر بنسختيها العربية والفرنسيّة لم يتوقف صدورها إلى غاية 3 سبتمبر 1926[2]. وقد اهتمت أيضا (المبشر) التي ظهرت 1847 بالأخبار المحلية وان كانت قليلة، ولاسيما في عهدها الأول[3].

ويذكر الأستاذ كمال عبيد بأنّ الهدف من تواجد صحيفة المبشّر "أن يكون لأهل الجزائر صحيفة خاصة بهم، ترشدهم إلى سبيل العلم، والحضارة والزراعة والتجارة والصناعة، أسوة بسائر الدول الإسلامية، سيما السلطنة العثمانية، والخديوية المصرية. وكانت "المبشّر" (..) وكانت ركيكة العبارة، في بادئ الأمر، ثم تحسنت (..) وتولاها من الفرنسيين "أرنو"، لمدة ثلاثين سنة، وخلفه المستعرب الشهير "ميريت"، وتولى كتابة القسم العربي في هذه الجريدة منذ بدايتها أحمد البدوي إلى عام 1866، ثم علي بن عمر، وعلي بن سمايه، ومحمود وليد الشيخ علي، وقدور باخوم وعلي ولدي الفكاي، والحفناوي بن الشيخ، ومحمد بن مصطفى"[4].

وهكذا فمن هذا التاريخ، وبواسطة جريدة المبشّر "عرف الجزائريون الصحافة العربية، وفنّ تحرير الصحف باللّغة العربية، بعدما عرفوه باللّغة الفرنسية. ولقد كانت هذه البادرة التي قام بها الجنرال دوماس تعتبر ثورة في هذا الفنّ بالنسبة للجزائر، بقطع النظر عن استعمالها للأغراض الاستعمارية"[5].

تشير الدكتورة عواطف عبد الرحمان بأنّ النسخة العربية في جريدة المبشّر، كانت تعتبر ترجمة تقريبية ركيكة للنصّ الفرنسي من الصحيفة، وليس لها قيمة تقريبا من الناحية الصحفية، كما أنّ الجزائريين الذين ساهموا في تحريرها لم يكونوا على قدر من الثقافة الأدبية ولكن هذه التجربة رغم ما كانت تحمله من عيوب وثغرات يمكننا أن نلمح فيها بعض الجوانب الايجابيّة:

أولا: أنّ هذه المحاولة من جانب الحكومة الفرنسية كان لها مثيلاتها في الدول الإسلامية (تركيا ومصر) حيث كانت تصدر في مصر صحيفة (الوقائع المصرية) التي أسسها محمد علي سنة 1828، وتصدر في تركيا جريدتها الرسمية (المرشد العثماني) التي أسسها السلطان محمود الثاني سنة 1831 .

ثانيا: أنّ هذه الجريدة تحوي إلى جانب التعليمات الرسمية والقوانين، "بعض المعلومات والجوانب التثقيفية فهي ليست جريدة للدعاية الاستعمارية فقط، بل تشمل أيضا أفكارا ومعلومات عامة لرفع مستوى الجزائريين وإحاطتهم علما بما يجري من تطورات في مجالات العلوم والفنون"[6].

مما لاشك فيه حسب هذه الأخيرة "أن تجربة إصدار جريدة المبشر كانت لها فوائدها بالنسبة للجزائريين إذ قرّبتهم من مشاكل عصرهم ومن مشاكل الفنّ الصحفي وخاصّة بالنسبة للأغلبية الجزائرية التي تجيد الفرنسية"[7].

لقد سمح قانون الصحافة الجديد سنة 1848 بانبعاث عمل للصحافة المكتوبة الاستعمارية في الجزائر حيث ظهرت العديد من الصحف وكأمثلة عن ذلك، جريدة قسنطية(Le journal de Constantine) في 1848، وكذا بريد بون (Le courrier de Bone)، وجريدة الصفصاف (Saf-Saf) في1849، بالإضافة إلى بريد وهران (Le courrier d'Oran) في 1850 وصحيفة الإفريقي (L'Africain) في 1851، بالإضافة لجرائد أخرى مثل صحيفة نحل الأطلس(Abeille de l'Atlas)، بريد قسنطينة (Courrier de Constantine)، جريدة برولكو دي لاميديتيراني (Brulcot de la Méditerranée)، إفريقيا الفرنسية (L'Afrique Français)، (Les Deux Frances)، نجمة إفريقيا (L'Etoile d'Afriaue)، جريدة صدى الأطلس (L'Echo de l'Atlas)، جريدة الجزائر (L'Algérie)، صحيفة ديموقراطية بليدة (Démocrate de Blida)، جريدة قورايا (Gourayah) في بجايه[8].

ان حرية التعبير وان كانت قائمة بعد صدور قانون 1881؛ فقد كانت دوما مهددة، حيث عرفت فرنسا تراجعا عن هذه الحرية مرارا مثل ما وقع في سنة 1893 "عندما وضعت الجمهورية الثالثة إجراءات تلغي بعض

---

[1] عواطف عبد الرحمان، **المرجع السابق**، ص 27 .

[2] Mme G.SERS-GAL (Agrégée de l'université),**op.cit.**

[3] أبو القاسم سعد الله، " منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، **المرجع السابق**، ص 9.

[4] كمال عبيد، بدايات الصحافة العربية وتطورها، الموقع الالكتروني لشبكة النبأ المعلوماتية http://annabaa.org/arabic، 2015/05/11.

[5] الزبير سيف الإسلام، **المرجع السابق**، ص ص 12-13 .

[6] عواطف عبد الرحمان، **المرجع السابق**، ص ص 27- 28 .

[7] **نفسه**، ص 28 .

[8] Mme G.SERS-GAL (Agrégée de l'université),**op.cit.**

الجوانب من حرية التعبير لتتمكن من القضاء على الحزب الفوضوي الذي أصبح له نشاط كبير في البلاد أو مثل ما وقع أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية لمحاربة النفوذ الألماني داخل الصحافة"[1].

لم يصدر بعد المبشر أيّة صحيفة أخرى باللّغة العربية حتّى نهاية القرن التاسع عشر، عندما أنشأ " ادوارد غسلين " وهو فرنسي مستعرب جريدة (النصيح) عام 1899، ولكنّها لم تستمر طويلا في الصدور، وكذلك جريدة (الأخبار) التي أصدرها المستشرق الفرنسي فيكتور باروكان سنة 1902[2]. وعرفت بدورها نفس مصير جريدة (النصيح) إذ توقفت بعد عدّة أشهر ولم تترك أثرا ذا بال بالنسبة للرأي العام الجزائري[3].

وفي هذه الأثناء صدرت بعض الصحف العربية في مدن الملحقات بالجزائر مثل جريدة "المسلم" التي أصدرها المستشرق "وليس" بمدينة قسنطينة سنة 1909، وكذا جريدة " الحقّ الوهراني" التي صدرت سنة 1902 على يد مجموعة من الفرنسيين، بالإضافة إلى جريدة الهلال التي أصدرها "أندروس لنغوا" وهو من المعمرين الفرنسيين الأجانب وكان ذلك في مدينة سكيكدة سنة 1910[4] .

لقد ظلّ في الواقع إصدار الصحف العربية في الجزائر حكرا على نفر من الفرنسيين نصف المستشرقين حتّى سنة 1907 "عندما أصدر محمود كحول الجزائري العربي جريدة "كوكب إفريقيا" وهي أول جريدة يصدرها عربي في الجزائر"[5].

يضاف إلى ذلك بروز صحافة رسمية باللغة العربية للدعاية إلى الحكومة الفرنسية وكانت موجّهة للجزائريين من أجل إقناعهم بضرورة المشاركة في الحرب مع فرنسا، حيث كانت صحيفة "فرنسا الإسلامية" الصادرة بمدينة الجزائر سنتي 1913-1914 من أهم الصحف في تلك الفترة[6].

كما أصدرت الحكومة الفرنسية في مدينة الجزائر خلال فترة الحرب العالمية الأولى 1914-1939 جريدة "أخبار الحرب" وكانت باللغة العربية، حيث تحتوي على أخبار وتطورات الحرب العالمية الأولى[7].

4) أنواع الصحافة الاستعمارية في الجزائر:

يمكن تصنيف الصحافة الاستعمارية إلى ثلاثة أنواع خلال فترة الاحتلال الفرنسي هي: الصحافة الرسمية أو الحكوميّة، الصحافة الاستعمارية، الصحافة الفرنسية التحرّريّة.

أ)الصحافة الرسميّة (الحكوميّة):

نشأ هذا النوع من الصحافة غداة الاحتلال الاستعماري، وكانت موجّهة أساسا "لأفراد الحملة الفرنسية، المعمرين والجنود ثمّ للمسلمين الجزائريين عندما ظهرت الحاجة إلى ذلك. فقام بتحرير هذه الجرائد الفرنسيون الموظفون وحرّرت باللّغة الفرنسية ثمّ كلفت السلطات بعض المسلمين الجزائريين بترجمتها إلى اللّغة العربية لكي يفهمها المتعاملون مع الاستعمار وبهذا كانت بمثابة مدرسة تعلّم فيها بعض المسلمين مهنة الصحافة"[8] .

وضمن هذا المجال يجب الإشارة إلى أن جريدة المبشّر تعد أول جريدة من هذا النوع، حيث كانت تصدر باللّغتين الفرنسية والعربية، ثمّ تبعتها جرائد أخرى[9].

لقد طبقت الإدارة الاستعمارية في الجزائر "سياسة دعائية فاعلة، إلى جانب سياساتها الحربية والتعليمية والعلمية والاقتصادية" وتمثلت السياسة الدعائية في توزيع المناشير وتأسيس المطبعة وإصدار الصحف وتوظيف الشعر الملحون خدمة لفرنسا ولتوسعها في الجزائر"[10].

ب) الصحافة الاستعمارية (صحافة المعمّرون):

كان هذا النوع من الصحافة في الواقع "يعبّر في أول الأمر عن موقف المعمرين من القضايا التي كانت تهمهم غير أنّ سرعان ما أصبح ينطق باسم جميع السكان الفرنسيين في الجزائر وكان هذا النوع لا يعير أي اهتمام

---

[1] زاهر حدادن، **مدخل لعلوم الإعلام والاتصال**، ط 5، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 49.
[2] مروّة أديب، **المرجع السابق**، ص 223.
[3] عواطف عبد الرحمان، **المرجع السابق**، ص 28 .
[4] مروّة أديب، **المرجع السابق**، ص 224.
[5] **نفسه**، ص 223.
[6] عواطف عبد الرحمان، **المرجع السابق**، ص 31 .
[7] **نفسه**، ص 32 .
[8] زاهر حدادن، **الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930**، المرجع السابق، ص 9 .
[9] **نفسه**، ص 10.
[10] حميدة عميراوي، **من الملتقيات التاريخية الجزائرية**، المرجع السابق ، ص 133.

للمسلمين ولا لقضاياهم ولا يشير إليهم إلا بالسبّ وإثارة البغضاء والحقد والاحتقار. ولم يكن يشتغل في هذه الصحافة إلا الفرنسيون وأغلقت أبوابها أمام المسلمين إلا النادر منهم"[1].

لقد كانت هذه الصحافة الاستعمارية الناشئة "تتمتع بجميع الميزات التي كانت تتمتّع بها الصحافة الفرنسية في فرنسا وكان قانون حرية الصحافة الذي صدر سنة 1881 يطبّق عليها بجميع بنوده حتّى أنّ هذا النوع عرف ازدهارا كبيرا في الجزائر بحيث لا تخلوا مدينة من المدن الصغيرة إلا وله جريدتها المحليّة وهكذا بلغ عدد الجرائد رقما مازال لم تتم الإحصائيات بضبطه"[2]. كما تذكر الأستاذة فتيحة وهايبية بأنّ الصحف الاستعمارية قد كانت؛ "تتدفق تدفقا عجيبا، وتنتشر انتشارا واسعا، يكفي أن نعرف أنّها بلغت في تعدادها أثناء هذه المدّة (1847-1939) ما يزيد عن مائة وخمسين جريدة ما بين دورية ويومية، بينما لم تزد الصحف العربية في الجزائر عن ستّ وستين جريدة بما فيذلك الصادرة باللّغتين العربية والفرنسية، وبصرف النظر عن اتّجاهاتها المختلفة حتّى الصادرة منها عن الدوائر الاستعمارية"[3].

وتشير الدكتورة عواطف عبد الرحمان بأنّ صحافة المعمرين الأوروبيين بالجزائر قد ظلّت "ذات طابع متواضع حتّى سنة 1848، وقد أثّرت عليها بعض أحداث العصر مثل ثورة الأمير عبد القادر(7 ديسمبر 1847)، وإعلان الجمهورية الفرنسية (23 فبراير سنة 1848) فقد تركت هذه الأحداث آثارها على الحياة السياسية للأقليّة الأوروبيّة بالجزائر، وبالتالي على الصحافة الناطقة باسم هذه الأقليّة التي لم تلبث أن أخذت في النمو والاتساع حتّى الحرب العالمية الأولى"[4].

عرفت مدينة الجزائر الكثير من الصحف "الناطقة باسم الأقليّة الأوروبية(12 صحيفة يومية وأسبوعية ومجلات شهرية) وكذلك وهران وقسنطينة، كان لكلّ منهما صحفها الإخبارية وصحف أخرى، كما أنّ المدن الداخلية وكذلك بعض قرى المعمّرين كانت لها نشراتها وصحفها الخاصّة"[5].

لقد استطاعت هذه الصحافة بما "كانت تتمتّع به من حريات وما تمارسه من سلطات أن تفتح ثغرة في جدار الخرافة الخاصّة بقوّة فرنسا التي لا تقهر، وذلك من خلال النقد الذي كانت توجّهه هذه الصحف إلى السياسة الفرنسية، وقد انعكست هذه الحرية التي كانت تمارسها صحف المعمرين على المثقّفين الجزائريين، وخاصّة الذين ترعرعوا في المدرسة الفرنسية، فأدركوا أهميّة الدفاع عن حقوقهم، والتعبير عن مطالبهم أسوة بالأقليّة الأوروبية التي استطاعت استخدام حقها في هذا الميدان بمهارة وذكاء. كما اقتنع المثقّفون الجزائريون بأهميّة الصحافة كوسيلة فعّالة للنشر ولتوصيل مشاكلهم ومطالبهم إلى المسؤولين في الحكومة الفرنسية"[6].

لقد كانت الصحافة الموالية للإدارة الاستعمارية في الجزائر تسعى لتأييد الرواية الرسمية التي تقلّل من مشكلة هجرة الجزائريين مع تفادي التعرض إلى أسبابها الحقيقية، حيث كتبت جريدة البرقية الجزائرية (la Dépêche Algérienne) الصادرة في 22-06-1910 تقول:"نحن أمام حركة عادية تماما، بحيث نلاحظ أن البلدان المتقدّمة هي الأخرى، تهاجر منها أعداد وافرة من الطّبقات الفقيرة، نحو بلدان أخرى بحثا عن الاسترزاق والعمل، تفوق بكثير أعداد المهاجرين من الأهالي، نحو الشرق العربي". حيث نجد أنّ كاتب هذا التقرير وهو السيد "فارنيي" الكاتب العام للحكومة العامة، كان يحاول"في يأس شديد أن يثبت دور العامل الاقتصادي ومدى تأثيره على هجرة الأهالي"، الذين حسب رأيه؛ "ذهبوا ضحية سذاجتهم، وعدم تعلّمهم، وعدم معرفتهم وفهمهم للقوانين الفرنسية الجارية في البلاد"[7].

ج) الصحافة الفرنسية التحرّريّة:

لقد ظهر هذا النوع من الصحافة بعد صدور قانون حريّة الصحافة أي بعد سنة 1881 حيث "تمكن بعض المفكرين الفرنسيين الأحرار أن يطّلعوا على ما كان يقاسيه الشعب الجزائري من الظلم والاضطهاد ومن التعديات المختلفة على الأملاك والأشخاص فاتّهموا الاستعمار على أنّه السبب في ذلك وقاموا بإنشاء الجرائد لالفات أنظار الحكومة إلى حالة المسلمين ثمّ طلبوا من بعض المسلمين أن ينضمّوا إليهم وان يستعملوا الصحافة

---

[1] زاهر حدادن، **الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930**، المرجع السابق، ص 10.

[2] **نفسه**.

[3] فتيحة وهايبية، **المرجع السابق**، ص 254.

[4] عواطف عبد الرحمان، **المرجع سابق**، ص 28 .

[5] **نفسه**، ص 29 .

[6] **نفسه** .

[7] عمّار هلال، **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 212.

كوسيلة للدفاع عن أنفسهم وكمنبر للإدلاء بمطالبهم. فكان الأمر كذلك ونشأت هذه الصحافة وميزاتها أنّها يقوم بتحريرها صحفيون فرنسيون ومسلمون معا وأنها تتجه إلى السلطات الفرنسية والمسلمين معا، أنها تحتوي خاصّة على شؤون المسلمين. وبهذا كانت أكبر مدرسة تخرج منها الصحفيون المسلمون وتعتبر جريدة "المنتخب" القسنطينية أوّل جريدة ظهرت من هذا النوع"[1].

5)الصحافة كمصدر تاريخي:

يرى الباحث فاروق أبو زيد أنّه بمرور الوقت وتعدد وظائف الصحافة وبتنوع أغراضها وشمول مادّتها لغالبية أوجه النشاط الإنساني، صارت الصحافة تقوم بوظيفة تسجيل وقائع الحياة الاجتماعية وبالتالي أصبحت مصدرا من مصادر التاريخ، فمنذ منتصف القرن العشرين وما شهده الإعلام من ثورة معلوماتية تجاوزت توقعات المؤرخين أنفسهم، لم يعد في قدرة الكتاب المطبوع بشكله المعروف أن يلبّي حاجة هؤلاء المؤرخين إلى رصد الوقائع التاريخية المتلاحقة أو متابعتها، وهو الدور الذي نجحت الصحافة في القيام به[2].

تكون الصحف حسب هذا الأخير مصدرا رئيسيا للمؤرخ، لمّا يتعلّق الأمر بتسجيل وقائع الحياة اليومية، أو حين يتعلّق الأمر برصد الاتجاهات الفكرية للأحزاب والأفراد، أو لدراسة تاريخ الصحافة نفسها، ولكن الصحف تكون مصدرا ثانويا للتاريخ عندما يتعلّق الأمر بدراسة الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية لمرحلة معيّنة من المراحل التاريخية في مجتمع معيّن. وتقوم الصحافة كمصدر للتاريخ حسب فاروق أبو زيد بوظيفتين هما:

أوّلا: رصد الوقائع وتسجيلها ووصفها مع الاحتفاظ بها للأجيال المقبلة لكي تصبح بذلك أحد مصادر التاريخ.

ثانيا: القيام بقياس الرأي العام وآراء الجماعات والتيارات المختلفة إزاء وقائع أو قضايا تاريخيّة معيّنة[3].

إن الجانب المرتبط بالدعاية، هو الذي حسب اعتقادي قد لعب دورا في تصنيف الجرائد والصحف كمصادر ثانوية في الكتابة التاريخية، بحكم أنّ كتاباتها تخضع لتوجهات الجهة الصادرة عنها، وفي بعض الأحيان تضطر إلى نشر أخبار كاذبة أو مغلّفة لا تعبّر عن توجهاتها الحقيقية، تفاديا لضغوطات السلطات الوصيّة خوفا من تعطيها أو حلّها، ناهيك عن أسلوبها الدعائي الذي قد يوقعها أحيانا في المحظور والمبالغة في تسويق الأحداث وتحليلها خدمة لتوجّهاتها.

استنتاج:

إن منشأ الصناعة الصحفية في الجزائر كان مرتبطا أساسا بالاحتلال الفرنسي، الذي سعى لتوظيف هذه الآلة الإعلامية خدمة للمشروع الاستعماري، ضمن حرب دعائية نفسية استهدفت في البداية المسلمين الجزائريين، ثمّ لاحقا المعمرين الذين استخدموا الصحافة كمنبر يدافع عن مصالحهم في وجه إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر وحكومة المتربول. مع ذلك نجح المثقفون الجزائريون من استغلال احتكاكهم بالصحافة الاستعمارية في اكتساب الخبرة، والتعرف على هذه الوسيلة الجديدة عليهم، مما جعلهم لاحقا يوظفونها خدمة لمصالحهم وقضية وطنهم.

---

[1] زاهر حدادن، **الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930**، المرجع السابق، ص ص 10- 11.

[2] فاروق أبو زيد، **المرجع السابق**، ص 67.

[3] **نفسه**، ص ص 67-68 .